حوار مع الدكتور عبدالسلام المساوي المدير الفني الأسبق للمهرجان الوطني للفيلم التربوي

أجراه: عبد حقي

خاص بالموقع

المهرجان يستهدف تنويع طرائق ووسائل التربية المفيدة! إستطاع المهرجان الوطني للفيلم التربوي بفاس أن يرسخ تقليدا سينمائيا وطنيا يحتفي كل سنة بالإبداع السينمائي في بعده وقيمه الفنية والتربوية . ولم تكن لتتحقق له هذه الإستمرارية وهذا الحضوروالصيت الوازن داخل الوطن وخارجه لولاتظافروإيمان الأطقم والجهات الساهرة عليه بجدواه في الإرتقاء بالفيلم التربوي إلى المستوى الذي يليق به في المشهد السينمائي المغربي ككل. وقد تاسس المهرجان سنة 2001 من طرف جمعية الإبداع وللسينما والمسرح بفاس وبعد دورته الثانية تبنته الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة فاس بولمان التي أسهمت كثيرا في إشعاعه وتطويرفعالياته تدريجيا من الإطار الإقليمي إلى الإطار الجهوي ثم إلى الإطار الوطني. في هذا الحوار الخاص نعود مالدكتورعبدالسلام المساوي المديرالفني الأسبق للمهرجان إلى تقييم شامل لتجربته في الإدارة الفنية التي ناهزت ثماني سنوات وعن أسباب إستقالته من مهامه.

س : بداية نود أن نعرف الدواعي الحقيقية لاستقالتكم من الإدارة الفنية للمهرجان الوطني للفيلم التربوي وهو في قمة النضج !؟

•أنا لم اقدم استقالتي من الإدارة الفنية للمهرجان الوطني للفيلم التربويبفاس، وإنما ـ إذا أردنا التدقيق ـ انتهت مهامي الإدارية كرئيس للمركز الجهوي للتوثيق والتنشيط والإنتاج التربوي إثر نجاحي في مباراة للتعليم العالي في العام الماضي، وضمن هذه المهام المتعددة كنت أشرف على

الإدارة الفنية لهذا المهرجان الذي ربيته صغيرا بعد أن استلمته في الأقماط من جمعية فضاء الإبداع للسينما والمسرح في أواسط سنة 2004، وتعهدته بالرعاية بمساعدة رئيس الجمعية المذكورة وأطر تربوية طوال ثمان سنوات إلى أن شب عن الطوق.. صحيح كانت هناك محاولة من الأكاديمية لإقناعي بالاستمرار في المساهمة في تنظيمه حتى بعد استلامي مهامي الجديدة، ولكن الصيغة المقترحة لم تكن تناسبني وأنا الحريص على الاطراد في تطور دوراته.. إذ طلب مني أن أكون مجرد عضو داخل لجنة التنظيم..

س : طيب لنعد عقودا إلى الوراء ربما واكبت زخم ظاهرة النوادي السينمائية (سيني كلوب) في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي في كل ربوع المملكة أقصد المدن الكبرى الرباط والدارالبيضاء وفاس ومكناس ..إلخ التي استطاعت أن تخلق لها جمهورها النوعي.. هل في رأيك إختلاف السياق التاريخي وتعدد الوسائط وفائضها إن لم نقل التخمة في الصورة اليوم هو السبب في تراجع التفاعل السينمائي ؟

·كان لإحداث الأندية السينمائية المغربية خلال سنوات السبعينات أثر محمود في إشاعة أجواء الثقافة الفنية والتنويرية التي تطلبتها تلك المرحلة، من أجل إخراج المجتمع المغربي من الركود الثقافي المهيمن، ومن التقليد الذي كان يكبل الأفكار والطموح إلى الرغبة في التحرر والانعتاق من روح الجمود التي فرضتها العقليات التقليدية المتحكمة في دواليب السياسة والثقافة والمجتمع. ولئن كان الهاجس الإيديولوجي هو المحرك لدينامية تلك الأندية اعتبارا للأولويات والحاجات التي فرضتها الظروف الاجتماعية، فإن آثارها الفنية أتت أكلها من زاويتين: إشاعة الثقافة السينمائية، وإن طغى في تلك المرحلة مبدأ تغليب مضامين الأفلام على حساب ثقافة الصورة والتقنيات الجمالية، نظرا للهاجس الإيديولوجي المهيمن، والحفز على إنجاز أفلام سينمائية مغربية، ودخول تجربة الإنتاج من قِبَل الهواة. لقد ساهمت الأندية في التاطير والتوجيه عبر اختيار الأفلام ومناقشتها دفعا للتلقي السلبي الذي كان يغلب عليه النهم الفرجوي، واستفدنا نحن كتلاميذ في الثانوي في تلك المرحلة من هذه الأندية والمشرفين عليها وكان غالبيتهم من أساتذتنا. نفس هذه الأندية كانت سببا في تحول عدد من المشرفين عليها إلى مخرجين سينمائيين وكتاب سيناريو ونقاد. من هنا يتاكد الدور الأساسي لهذه النوادي التي أدت إلى تشكل إرهاصات فضاء سمعي بصري وطني، وهو النموذج الذي أرادت المدرسة المغربية أن تتمثله لاحقا بإعطاء النوادي التربوية

والفنية والثقافية أهمية قصوى في الاضطلاع بالأنشطة المندمجة والموازية في المسار التكويني للتلميذ وتلكم كانت أحد شواغل المهرجان الوطني للفيلم التربوي بفاس الذي تشرفت بإدارته الفنية.

وبالعودة إلى سؤالك، فانا لا اجد تراجعا في التفاعل السينمائي، ودليلي على ذلك وجود حركة موازية في تنظيم المهرجانات والملتقيات التواصلية حول السينما (قد يكون المغرب أول دولة عربية من حيث عدد المهرجانات والملتقيات).. وهي مناسبات لعرض الأفلام ومناقشتها وتقديم دروس في السينما. تعدد الوسائط أيضا ساهم ويساهم في العرض المطرد للأفلام السينمائية ومشاهدتها في أي وقت، ثم إن إغلاق القاعات السينمائية هو أمر طبيعي في سياقنا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وعلى الدوائر المسؤولة أن تفكر في صيغ أخرى، وتلك ظاهرة عالمية وليست مغربية فقط، ولا شك أن بعض هذه البدائل يتمثل في تشييد مركبات سياحية تدخل السينما في صميم اهتمامها.

س : كان ومازال من بين أهداف المهرجان الوطني للفيلم التربوي ترسيخ ثقافة سينمائية في الوسط التعليمي لكن الملاحظ أن إشعاع المهرجان لايتعدى أيامه الثلاثة المعدودة في السنة ؟

·الأيام الثلاثة للمهرجان ما هي إلا تتويج لمجهود سنوي متعدد.. إذ نجمع في هذه الأيام عددا لا يستهان به من نساء ورجال التربية المهتمين وتلاميذ وسينمائيين ومبدعين للوقوف على حصاد السنة من المنتوج الفيلمي الذي اجتهدت الأندية التربوية والسينمائية التابعة للمؤسسات التعليمية في مختلف ربوع الوطن في إنجازها. كما يتضمن برنامج أيام المهرجان ندوة وطنية نفرد موضوعها كل سنة لمحور أساس حول التربية والسينما (الطفولة والسينما، الفيلم التربوي دعامة للسلوك المدني، السينما التربوية ومدرسة الاحترام ..إلخ) علاوة على أوراش تكوينية وموائد مستديرة تستحضر الانشغال البيداغوجي فيما هي تلامس خصوصيات الخطاب السينمائي.. في تلك الأيام الثلاثة أيضا نفرد لثقافة الاعتراف حيزاً إنسانيا ضروريا يستحضر مجهودات الرواد في حقلي التربية والسينما، ويكفي استحضار هذه الأسماء التي كرمت خلال السنوات التي أشرفت فيها على تنظيم المهرجان (عبد الرزاق غازي فخر وهذا قيدوم الأندية السينمائية ورجل تربية، ونعيمة المشرقي، وحسن الصقلي، ومديرة الثانوي المعروفة خديجة العلوي قبي، ومحمد التسولي

وعبد القادر مطاع وحمادي التونسي في تلك الأيام الثلاثة كانت تداهمني دموع الفرح والتاثر وأنا أرى توالي صعود التلاميذ إلى الخشبة إلى جوار أساتذتهم ومؤطريهم وهم يقدمون أفلامهم الصغيرة والجميلة، في خطوات أعتبر إيقاعها مؤشراً على طموح سيحقق الكثير لهذا البلد مستقبلا.. وحتى لا أزايد فالمهرجان لا يستهدف بالأساس تكوين سينمائيي المستقبل (وإن كان يطمح إلى ذلك) بل يستهدف تنويع طرائق ووسائل التربية المفيدة.

قلت: لا يتحدد عمر المهرجان في ثلاثة أيام بل هو مجهودات كثيرة تتوزع على شهور السنة التعليمية في فضاءات تربوية وثقافية متعددة. حيث يقف التلاميذ والتلميذات أمام الكاميرا ليقدموا أدوارا في أفلام فتية تبغي معالجة ظواهر تربوية سائدة أو تطمح لتقديم العلامات المضيئة والقدوة الحسنة للتلاميذ وللأساتذة على حد سواء. كما أن المهرجان يستمر بعد انتهاء المهرجان !! من خلال توزيع الأفلام الفائزة في المسابقة الرسمية وباقي الأفلام الأخرى التي تحققت لها الجودة الفنية والفكرية على الأندية والجمعيات التي ترغب في عرضها ضمن أنشطتها التربوية والثقافية. وكنت أيضا لا أتردد في نسخها وتقديمها لبعض الآباء والأمهات الذين يرغبون في عرضها لفائدة أطفالهم بالبيوت.

س : حاول المهرجان من خلال شعاراته (مدرسة النجاح ـ مدرسة الإحترام ..إلخ(الإرتقاء بالأهداف الإجرائية البيداغوجية التي تسطرها الوزارة الوصية إلى أي حد تحقق هذا التكامل ؟

·يدرك الكثيرون أن الشعارات المرفوعة بمناسبة تنظيم أنشطة هي بالدرجة الأولى إعلان عن حسن الغرض والنية، وتاكيد للأهداف التي يريد ذلك النشاط تحقيقها على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد. وشعارات "مدرسة الاحترام" ـ على سبيل المثل ـ هو شعار دائم بدوام العملية التربوية، لأن تحقيق مدرسة الاحترام في نهاية المطاف هو تحقيق للنجاح المدرسي الذي دوخ الأمم على امتداد التاريخ. من هنا كان المهرجان دائما يراهن من خلال المسابقة الرسمية للأفلام التربوية على موضوعات الأفلام حيث يتم التنصيص في شروطها على ملامح الأفكار التربوية التي ينبغي أن تؤطر الأفلام القصيرة، حتى تصبح هذه الأفلام مسهمة في تحقيق الأهداف النوعية في مناسبات عرضها على التلاميذ. وأغتنم هذه الفرصة لأقترح على المشتغلين بالتنشيط التربوي والتكوين أن يطلبوا هذه الأفلام ـ وخاصة منها الفائزة بجوائز المهرجان ـ من إدارة أكاديمية فاس

بوطان لاستثمارها في مختلف المناسبات، فهي مواد مناسبة لخلق نقاش بيداغوجي حول قضايا تربوية متعددة، ويحسن عرضها في المؤسسات التعليمية ودور الشباب ومراكز تكوين الأساتذة (المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين.)

س: تتكون لجان التحكيم عادة من فعاليات وازنة في الحقول التربوية والفنية والإعلامية فيما تغيب وجهة نظر الفئة المستهدفة من المتعلمين في لجان التحكيم ما السبب ؟

·تعودنا في كل دورة أن نوجه الدعوة إلى خبراء في السينما والتربية والثقافة للاضطلاع باختيار الأفلام الجيدة التي ينبغي أن تحظى باهتمام المهرجان وجوائزه، إلا أنني أجد أن سؤالك يشير إلى غياب تلاميذ عن لجان التحكيم. وأنا أزكي إشارتك هاته، وأعلن بان حضور تلميذ أو تلميذة مع أعضاء اللجنة سيكون مفيداً.. خصوصا وأن الكبار لا يستطيعون دائما أن ينوبوا عن الأطفال في اختياراتهم. لذلك أوجه سؤالك ـ اقتراحك للمنظمين سواء بفاس أو بباقي المدن لتوجيه الدعوة لعينة من الأطفال يرون فائدة في حضورهم إلى جوار الكبار في لجان التحكيم.

س : إلى أي حد إستطاعت الأوراش المنظمة على هامش المهرجانات الإرتقاء بجودة الإبداع السينمائي في الفيلم التربوي؟

·من يقارن بين الأفلام المشاركة في الدورات الأربع الأولى والأفلام التي شاركت بها الأندية بدءاً من الدورة السادسة إلى اليوم سيلاحظ الفرق الكبير الذي مسَّ هذا المنتوج الفنيّ من حيث الجودة في التقنيات وفي فكرة الأفلام ومضمونها. لقد كان لتوالي دورات المهرجان وللأوراش المتنوعة التي عرفتها فقراته وركزت على مهن السينما (السيناريو، التصوير، الإخراج) الدور المؤكد في نشر الوعي باساسيات الخطاب السينمائي ومكوناته، زد على ذلك تنصيص أدبيات المهرجان على ضرورة الاستفادة من المحترفين عند إنجاز هذه الأفلام. وقد شارك في هذه الأوراش التكوينية خبراء مغاربة ودوليون من مخرجين وتقنيين.. وكان طموحنا أن تتوطد العلاقة مع المركز السينمائي المغربي الذي نشكر تفاعله مع هذا المهرجان، ومع بعض مدارس السينما في المغرب لياخذ مجال التكوين دوره.. وعلى المشرفين الجدد على مهرجان فاس أن يفكروا في آليات تطويره.. لقد تركناه في عهدتهم بعد أن حقق انتشاراً وطنياً، بل وهناك مخرجون عرب أبدوا الرغبة في حضوره وعرض أفلامهم فيه، وعليهم أن يتولوا بعض الثغرات للدفع به إلى الأفق المنشود.

س : دأب المهرجان على تكريم فنانين مشهورين مثل نعيمة المشرقي وعبدالهادي بلخياط وحمادي التونسي وحسن الصقلي وغيرهم فيما غاب عن الإدارة الفنية تكريم الرواد الأموات مثل محمد عصفور والعربي الدغمي وحسن المفتي وغيرهم لماذا ؟

·إكرام الميّت دفنه !! إن أي تكريم ينبغي أن يشمل الأحياء حتى يحسوا بمثل هذه الالتفاتات.. لقد كرمنا حسن الصقلي وكان سعيدا بذلك، ورحل في ما بعد فحمدنا الله على مبادرتنا.. طبعا هذا لا يمنع من تكريم الراحلين الذين أخلصوا لعملهم ولفنهم، ولكن بأشكال لائقة من خلال الاهتمام بمنتوجهم والتعريف به، ومن خلال إطلاق أسمائهم على الشوارع والمؤسسات اعترافاً بإسهاماتهم الفنية والتربوية..

س : راهنت إدارة المهرجان على البعد الدولي منذ الدورة العاشرة لكن لاشيء تحقق من هذا الرهان منذ الدورتين السابقتين، هل يعود السبب لحجم الإمكانيات أم لغرور لحظي !؟

·هل حققنا الجودة في ما هو محلي وطني حتى نفكر في ما هو أبعد من ذلك؟؟ من كان يتحدث عن تحويل المهرجان من الإطار الوطني إلى الدولي؟؟ متحمسون رسميون يلقون كلماتهم في منصة الافتتاح أو الاختتام !! هؤلاء لم يكونوا يكتوون بمعاناة التنظيم ولا يعرفون واقع الحال.. هؤلاء لم يكونوا يطوفون على (اللي يسوا واللي ما يسواش) بحثاً عن دعم لنفقات المهرجان (جوائز، إيواء، تغذية، طبع وثائق، ..)، ولابد هنا من أتوجه بكل عبارات الشكر والامتنان لعدد من شركاء المهرجان الذين ظلوا يقدمون له الدعم ووثقوا في أهدافه وغاياته، فبهؤلاء ضمن المهرجان استمراره. فبفضل جهود هؤلاء وأولئك تمكنت أكاديمية فاس وجمعية فضاء الإبداع من مراكمة هذا العدد من الدورات وفي شروط تنظيمية جيدة رغم بساطة نفقات المهرجان. ولابد أيضا في هذا السياق من توجيه الشكر إلى السيد حسن أمزيل المدير السابق للأكاديمية الذي تفاعل بشكل إيجابي جدا مع تبني هذه التظاهرة وهي ما زالت في طور البدايات لما عرضت عليه الفكرة، بعد أن زارني السيد محمد فراح العوان صاحب هذه المبادرة طالباً الرعاية الجهوية للتقاه الذي كان قد نظم منه دورتين إقليميتين على عهد الراحل محمد فجاج نائب نيابة المدينة سابقا. بل ما يدعو لشكر السيد أمزيل هو أنه كان يطوف معي على الداعمين وكان جد متحمس لإنجاح هذه التظاهرة التربوية الهامة. لابد أيضا من شكر النجمة نعيمة المشرقي التي شجعتني شخصيا

على متابعة إدارة هذا المهرجان وقدمت لي دعما معنويا كبيرا، ونفس الشكر أتوجه به إلى كل من عمر بلخمار وأحمد سيجلماسي وحمادي كيروم وعبد الإله الجوهري وثريا ماجدولين، فهؤلاء رعوا المهرجان منذ كان صغيراً. ووجدت فيهم أنا وزميلي محمد فراح العوان كل الدعم والمؤازرة. فيما يخص البعد الدولي، أنا شخصيا لم أكن متحمسا له لأنني كنت أريده أن يبقى تظاهرة مدرسية تعنى بخصوصية المدرسة المغربية محققة للأهداف المرسومة، وكنت أخاف أن يتسبب البعد الدولي في تحييد الأبعاد البيداغوجية التي هي أساس فكرة هذه التظاهرة، هذا علاوة على شح الموارد المالية التي من الممكن أن تخلف موعدها مع مهرجان بمواصفات دولية .

س : في حصيلة إدارتكم الفنية ما الذي لم يتحقق ويدعوكم للحسرة ؟

•لا شيء يدعوني للحسرة بل على العكس من ذلك كل شيء يدعوني للابتهاج، لقد تحقق جزء كبير مما كنت أطمح إليه، لقد عانيت الشيء الكثير في الإعداد والتنظيم، ولكن النتائج الباهرة كانت دائما تنسيني في المتاعب. لقد استطعنا كأكاديمية وجمعية وشركاء أن نصل بالمهرجان إلى هذه الحلة الموفقة، وغدا قدوة لكثير من المهتمين بالسينما التربوية على مستوى المغرب كله.. لاحظ أن أكاديميات جهوية للتربية والتكوين سارت على منوالنا (الدار البيضاء الكبرى - مكناس تافيلالت - مراكش الحوز تانسيفت - الجهة الشرقية.(...

س : الآن وبمناسبة الدورة الحادية عشرة، كيف تنظر إلى تجربتك من خارج المسؤولية ؟

•ما يدعوني للاطمئنان هو استمرار تنظيم المهرجان، صحيح لقد غبت عن الدورة الحادية عشرة لأسباب مهنية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لكن تولي الأستاذ محمد فراح العوان رئيس الجمعية للإدارة الفنية ساهم في ضمان استمرارية المهرجان، بالإضافة إلى المجهود المشكور الذي يقدمه طاقم جيد من أطر وموظفي الأكاديمية، ومرت الدورة في ظروف حسنة حسب الأصداء التي كانت تصلني. وهذا يدل على أن عملنا كان مؤسساً على أرضية صلبة وبرغبة مواطنة في تحقيق الأهداف البيداغوجية المنشودة.